الهند - الصينية تضيئ بمشاعل الانتصارات

جنوب فيتنام : القوات الثورية تحرّر دانانغ والمنطقة الوسطى

كمبوديا : لون نول يهرب في "جولة رسمية" والثوار يدقون ابواب العاصمة

واشنطن : هدوء الهزيمة أبعد من حدود كمبوديا وجنوب فيتنام

عندما كان الرئيس فورد يضغط على الكونغرس من اجل الموافقة على مساعدات اضافية لاغاثة نظام حكم لون نول في فنوم بنه ، كان يريد ان يطمئن من ان تحصيله هذه الموافقة سيعني انه سينجح ايضا في طلبه المماثل لسايغون. وكان الحاحه من اجل فنوم بنه يظهر اطمئنانا جزئيا تجاه وضع زمرة فان ثيو الحاكمة واعتقادا بان القوات السايغونية ليست في وضع خطير كوضع القوات الحكومية الكمبودية، وبانها قادرة رجالا وسلاحا وذخيرة ، على الصمود امام اندفاع القوات الثورية ، وقادرة اكثر من فنوم بنه على انتظار اقرار المساعدات الاضافية .

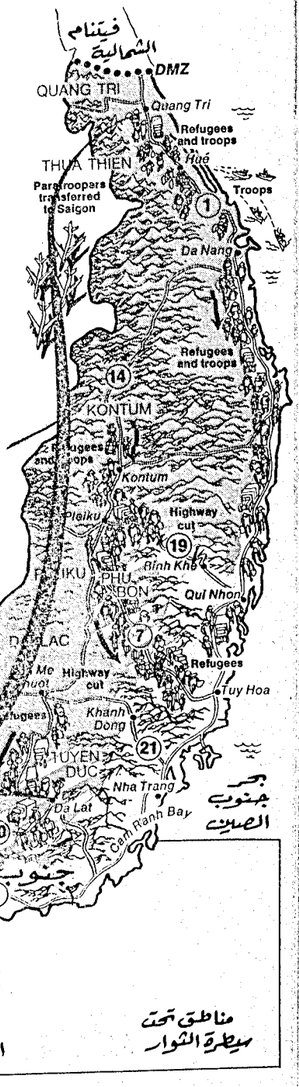

ولكن الاحداث في جنوب فيتنام انعطفت هذا الانعطاف الدراماتيكي الذي يظهر فيما يظهره وجود تنسيق قائم بين الثوار في البلدين المتجاورين . فبينما كان الثوار الكمبوديون يواصلون استنزافهم للقوات الحكومية ويشددون حصارهم للعاصمة ، كان الثوار الفيتناميون يتقدمون من اقليم الى اقليم ومن مدينة الى اخرى في اوسع عملية تحرير منذ بداية القتال الى اليوم . وحتى كتابة هذه السطور كانت دانانغ ثاني اكبر مدينة في جنوب فيتنام قد تحررت من اخر فلول القوات الحكومية (انظر الخارطة) . وفي مطار سايغون كان مسؤول يجلس الى مكتبه امام قائمة طويلة ، ويشطب بالقلم الاحمر بلايكو ، كونتوم ، بان مي ثووت ، كوانغ تري ودانانغ وغيرها . كلها لم تعد ضمن شبكة النقل الجوي الداخلي. كلها لم تعد تحت سلطة الادارة السايغونية التي يخدمها . كلها اصبحت تحت سلطة الحكومة الثورية المؤقتة لجنوب فيتنام .

وبقدر ما كان هذا الانعطاف في جنوب فيتنام مفاجأة للذين كانوا اكثر تفاؤلا بفرص وامكانات الحكم السايغوني ، بقدر ما كان مفاجأة قرار فان ثيو وزمرته بالاستسلام والتراجع عن نصف مساحة جنوب فيتنام للقوات الثورية الزاحفة في معركة ، تبدو من كافة مظاهرها بانها تنوبها معركة حاسمة . ولم يعد بذي اهمية كبيرة التكهن عمن تسقط قبل الاخرى ، زمرة سايغون او زمرة فنوم بنه ، لان نهاية الاثنان قد اصبحت وشيكة ، ولا امل لهما في النجاة الا باعجوبة ، وقد ولى زمن الايمان والمراهنة على العجائب !

الخيارات المحدودة :

ففان ثيو لم يأمر قواته بالتراجع والانسحاب الى اخر خط دفاعي له ، او لم يدرك بان البقاء ومواجهة الزحف الثوري سيكلفه من الرجال والسلاح والذخيرة في معارك خاسرة ، ما يقلص الى حد كبير فرصه في الدفاع عن سايغون والخط الرفيع من المدن الساحلية المتبقية تحت سلطته .

كذلك فان الجنرال لون نول ما كان ليجزم حقائبه ويقرر السفر الى اندونيسيا في «جولة رسمية» (!) في هذا الوقت بالذات لو كان لديه ولو بعض الامل في البقاء في السلطة ورد الهجوم الثوري ورفع الحصار عن العاصمة المختنقة . وقرارة بزيارة اندونيسيا حجة واهية للهرب في اللحظة المناسبة لانه على رأس قائمة المسؤولين السبعة الذين ادانتهم الثورة وحكمت عليهم بالاعدام . ولا يستبعد ان تتم في اية لحظة عملية الانهيار النهائي واستسلام فنوم بنه للقوات الثورية بعد خمس سنوات من حرب اشعلتها الامبريالية الامريكية ، بحجة ان اشعالها في كمبوديا ينهيها في فيتنام لصالح انظمة الحكم الاستعمارية الجديدة في المنطقة !

الثوار الامريكية على شاطىء المرتفعات الوسطى ١٩٧٥ : جاؤوا مدججين وخرجوا مهزومين

النقل وعت من هول مفاجاتها لتجد بان خيارات اكثر مما لدى سايغون وفنوم بنه الادارة الامريكية نفسها مكبلة وعاجزة الحكومة المحتومة عن الانظمة العميلة لها في ١٩٧٥ الذي يضع رئيس الولايات المتحدة واحد على عمليات عسكرية امريكية الجنوبية - برا ، جوا ، او بحرا - فان اكد رفضه اقرار مساعدات عسكرية الكونغرس على اساس انها هدر للامكانات لم تسهم سوى في اطالة المعارك وتاجيل امام الادارة الامريكية اكثر من تعنيف سايغون وفنوم بنه ، لان كانت لتوها تقوله حول كمبوديا: سايغون على اية مساعدات اضافية المتحدة فان الحكم القائم قد لا يرى ... (!)

جاء لتجاوب بعض رجال الكونغرس من المساعدات ليزيد من ياس البيت هؤلاء الادارة الامريكية الى التفاوض . ولكن الاقتراح لم يعش طويلا كان بمثابة التعجيز . وقد رد مسؤول عليه مع الثوار في الوقت الذي القربات المتتالية وينطلقون من اجتاحوا معظم فيتنام امام فان ثيو من وسيلة يمكنه بها من قوات وسلاح لاعادة تعزيز قواته عن ما تبقى له من سلطة ... (!)

المخروطة :

فان ثيو وزمرته وسقوط لون نول امر لا مفر منه ، فالمؤكد ايضا الساحتين الفيتنامية والكمبودية، موقع الولايات المتحدة الاستراتيجي في حدود الهند الصينية . حزائم الامبريالية الامريكية ، في قلاع الرجعية الامريكي في اسيا .

القوات السايغونية تتراجع الى بان مي ثووت

ففي الفلبين ، اعلن الديكتاتور ماركوس الذي يشن حربا شرسة ضد ثورة تحررية مسلحة في بلاده، انه يخطط من اجل مراجعة علاقاته مع الولايات المتحدة . وفي ماليزيا اقدمت الحكومة على انشاء علاقات دبلوماسية كاملة مع الصين . اما في تايلاند فان الحكومة الجديدة برئاسة كوكريت براموج، قد دعت الولايات المتحدة الى سحب كل قواتها من تايلاند في خلال سنة . وقد اوضح مسؤول في وزارة الخارجية هذه الخطوة بقوله : اننا بصراحة، نشعر بان انفراج العلاقات مع الصين هو ضمانة لامن البلاد افضل بكثير من الاعتماد على القوات الامريكية . (!)

ان قرار تايلاند يترجم عمليا ما تتخوف منه الولايات المتحدة ، وما كان وما يزال الرئيس فورد يحذر الكونغرس من حدوثه، وهو يستجدي المساعدات الاضافية لسايغون وفنوم بنه . فقد تدخلت الولايات المتحدة بقواتها في جنوب فيتنام، وتصاعد هذا التدخل الامريكي الى حرب شاملة ، وتوسع ليشمل كمبوديا ولاوس . ولكن بعد سنوات طويلة من الحرب اضطرت الولايات المتحدة الى الانسحاب مرغمة . ومن بعد انسحابها راحت تدير الحرب بتمويلها وتوجيهها طوال سنتين كاملتين . ولكنها رغم كل هذا ، لم تستطع حماية وانقاذ انظمة الحكم التابعة لها في هذين البلدين . وثبت عجز الادارة الامريكية عن كسر تكاتف المعارضة في الكونغرس لمواصلة هدر الاموال والاسلحة الامريكية في فيتنام وكمبوديا ، في الوقت الذي اصبح فيه الثوار الكمبوديون على مشارف فنوم بنه ، والثوار الفيتناميون يواصلون تقدمهم الواسع يدفعون بالزمرة السايغونية باتجاه بحر جنوب الصين، بحيث لايصبح من مفر امام فان ثيو وشلته سوى القفز في الماء كنهاية المطاف ...

ففي تايلاند والفيليبين ايضا ، تدرك انظمة الحكم الرجعية القائمة - التي طالما علقت امالها على نجاح الحرب الامبريالية الامريكية ضد شعوب فيتنام ولاوس وكمبوديا - ان انهيار سايغون وفنوم بنه واستلام الثوار السلطة فيهما لا يمكن ان يبقى حدثا فيتناميا وكمبوديا داخليا تبقى اثاره وتاثيراته ضمن حدود هذين البلدين ، بل انهم يدركون جيدا مضاعفات هذا الحدث التاريخي القصيرة والبعيدة المدى في انحاء الهند الصينية واسيا ، في الوقت الذي تواجه فيه هذه الانظمة القائمة في بانكوك ومانيلا ثورات شعبية مسلحة تنمو بوتيرة سريعة خاصة منذ السنة الماضية .

اكثر من ذلك ، فان الائتلاف الهش القائم بين الشيوعيين وما يسمى بالحياديين في لاوس ، لا بد وان ينهار لصالح القوى الشيوعية، بانتصار الثورة في كل من كمبوديا وجنوب فيتنام ، مهما حاولت القوى المناوئة الرجعية، التي لم تهدأ عن التآمر حتى من بعد قيام الحكم الائتلافي الذي اوقف مؤقتا الصراع المسلح بين قوى الرجعية والمرتزقة وبين القوى الوطنية الثورية بقيادة الباتيت لاو . فمن بعد وقف القتال استمر الباتيت لاو في النضال السياسي، في التوعية والتنظيم والتعبئة الجماهيرية استعدادا لمرحلة المجابهة الحاسمة مع القوى المناوئة للثورة .

ان الانتصارات الرائعة التي تحققها الثورة الكمبودية الوطنية ، والثورة الفيتنامية بقيادة جبهة التحرير الوطني لجنوب فيتنام ، ضد السيطرة الامبريالية الامريكية وانظمة الحكم المحلية الدائرة في فلك نفوذها، قد جاءت تدحض («البشرى») التي حملها الانهزاميون دعاة المساومة ، حول ما وصفوه بانها ((اخر حروب التحرير الشعبية)) ، اثر توقيع اتفاقيات باريس للسلام في فيتنام ، في شتاء عام ١٩٧٣ .

فقد انهت تلك الاتفاقية مرحلة هامة من مراحل الثورة الوطنية التحررية في جنوب فيتنام، بوضع حد للحرب الامريكية وارغام الولايات المتحدة على سحب قواتها الغازية من فيتنام ، بفعل النضال الحازم الذي خاضته جبهة التحرير الوطني الفيتنامية والانتصارات التي حققتها ، واثبتت فيها ما كان يردده دائما القائد الثوري الجنرال جياب ، بان للولايات المتحدة نقاط ضعفها كقوة امبريالية غاشمة وان كانت احدى اقوى قوتين عسكريتين في العالم ، كما ان للشعب الفيتنامي المناضل نقاط قوته وان كان شعبا صغيرا ناميا .

ان القيادة الثورية في جنوب فيتنام لم تنظر في لحظة من اللحظات الى اتفاقية باريس كنهاية المطاف الثوري بل كنهاية مرحلة الغزو الامريكي المباشر بفعل مقاومتها المنتصرة ، وبداية مرحلة مواصلة النضال ضد نظام الحكم الاستعماري الجديد القائم في سايغون عقبة محصنة بالسلاح الامريكي ، في وجه تحرر الشعب الفيتنامي في الجنوب من السيطرة الامبريالية والفقر والتخلف ، وطموحه في الاستقلال الوطني والتقدم ووحدة الوطن الفيتنامي الذي طالما سعت الامبريالية الامريكية الى تحويل تجزئته الاستعمارية الى امر واقع دائم .